



أعلم أن عنوان هذه المقالة فيها شيء من الاستفزاز، فمن ذا الذي يُلقي لما أحب وما لا أحب بالأ، وهل سيترك الناس مشاكلهم وأولادهم وأرزاقهم وهمومهم ليشغلوا بالأربعة الذين لا أحبهم، لكن يشاء القدير أن أحدثك عن هؤلاء الأربع، فاصبر علينا ولا تعجل، واسكر الله أني سأحدثك عن أربعة ولم أنحرف عن جادة العقل لأحدثك عن الرهط الأربعين الذين يغيبونني حد الصباح، ولك أن تخيل ذلك فقط لتفلق هذه الصفحة حالاً وتتابع مونديال أوروبا فهو أرحم.

يا سيدى هناك أربعة لا أحبهم فدعني أحدثك عنهم، ولست والله أني إقناعك بأن تصنع مثلي فأنا رومانسي بطبعي:  
**أما الأول:** فهو الشخص الذي يحمل الشعار القائل: أنا فاضي أشغال إذن أنا ناشط، فلا يكاد يترك صفحة فيسبوك إلا ويعلن فيها جهاده ويحمل عقيرته على كل الصفحات الصغيرة منها والكبيرة، ليعلن موافقه الحاسمة، ويصدر بياناته التي تشجب وتندب، ويتوعد الدول والممالك والأصقاع بحروب ضروس فيعد عدته و-يُفرمت جهازه- ويغير فأرته (الماوس يعني) مع شحنة ثورية مليئة بالنسكافيه، تشعر حين يحدثك أنه الفتى ودونه خرت القتاد، أما ميدان التويتر فله فيه غزوات عظيمة بين كتابة ستاتوس وردود على ستاتوس، كأنه هارون الرشيد يتوعد نقوفه ملك الروم بجيش أوله من على أريكته وآخره حيث يمد رجليه. وليس يُنكر عاقل دور صفحات التواصل الاجتماعي في ثوراتنا، وتعزيز مفهوم صحافة المواطن، أو الصحافة

الحرة، ولكن عزيزي هذا لا يعني أنك أصبحت مجرد مشاركتك في تعليق أو نسخك لخبر أنك أصبحت رئيس تحرير صحيفة، أو محللاً سياسياً أو إعلامياً بارزاً، أو ثائراً لا يُبُزَّك في ثورتك أحد كي تحاربنا بأسلحة غلاظ شداد، وتسلط علينا لسانك وكيبورنك، فتتمنّن علينا بهذه الساعات التي تقضيها وراء شاشة كمبيوترك، أو أن تُنْتَظِر على العاملين في الساحة، وتنتقد كل تحرك، وتحارب كل فكرة واقتراح، وتُعارض - من أجل الاعتراض ليس إلا - أي شيء وكل شيء لمناسبة وغير مناسبة ليُقال عنك معارض. أقول لمثل هذا خفّ، رعاك الله.

**أما الثاني:** فهو شخص آتاه الله علماً وموهبة وفكراً فسيّر ذلك كله في غير محله، ووضعه في غير موضعه، فصار عوناً للظالم، وبوقاً للفساد، ومنبراً لتبير القتل والتعذيب، وإذلال الشعوب، ولست تدري كم يُحزنني هذا الصنف من الناس، فهم ليسوا من عامة القوم، ولا دهماءهم، فنعتذرهم بالجهل مرة، أو الانسياق وراء الإشاعات والإعلام المُسَيّر مرة أخرى، بل هم مثقفي المجتمع ونخبته وعلماء الأمة - أو هكذا كنا نتصور - وشيوخها ورجالات دينها، هذه الدنيا لا يدوم لها حال، وهذه الدار لا تبقى على أحد، فمن ذا الذي كان يتصور أن عالماً جليلاً يقف من على منبره ليمدح ظالماً، أو يُفْتَن بقتل شعب يثور ضده، ومن كان يُصدق أن شاعراً حكيمًا كان مضرب المثل في قومه، ثم صار أمين سجل النفاق الحكومي، أو مثقفة تُنادي بذبح الأطفال، فهم على حد قوله: إرهابيون لا يختلفون عن آبائهم شيئاً. أقول لمثل هؤلاء - الشبيحة خمس نجوم - جاينكم.

**أما الثالث:** فهو يا سادة رجل ظن لدقائق أن العالم يدور من حوله، وأنه مركز التقاء القوة الباطنة والظاهرة وقوة الجاذبية أيضاً، ولذلك فقط فهو يرى أن من حقه - وحده - أن يهدم ثقافات الناس ومعتقداتهم، منطلاقاً من ظنه السابق، أن التحرر من كل عقيدة ودين وفكرة سيجعل منا - معاشر الشرقيين - قوماً أكثر تقدماً وحضارة، وأننا ما تخلفنا وتأخرنا إلا باتباعنا لديننا وإيماننا المطلق بتراثنا، ولست أفهم هذا العداء الحاد الذي يشنّه هذا الشخص - وغيره كثراً - على المخلصين من أبناء الأمة، وعلى منهج هؤلاء في الحياة، فلم يكن ولن يكون منهج الإسلام حجر عثرة في سبيل الرقي والتقدم، وإن فأتني بدليل واحد على ذلك، إن التجربة الإسلامية حيثما حلّت وجدتَ خيراً كثيراً، ووُجِدَتْ إقبال الناس عليهم كبير، وانظر إلى الريبع العربي نظرة متجردة لترى اختيارات الجماهير وشعاراتهم وهي تُنبئك بباقي الحكاية. لسنا ضد حق أي شخص باختيار الطريقة التي يحب أن يحيا بها، لكن لا يروق لمن يشنّ حملات التشويه الكاذبة على عقيدة الناس ويهدر حقهم في اتخاذ المنهج الذي يرونـه مناسباً لهم والذـي لا يرىـ الحق إلا حيثـ يراهـ. أقول لمثل هؤلاء، وبعدين معكم؟

**أما الرابع:** فهو الراقص على الحبلين والمتألون كحرباء مدغشقر، لا تعرف له رأياً سوى المصلحة، ولا تراه إلا وقت حاجته إليك.

يعطيك من طرف اللسان حلاوة\*\*\* ويروغ منك كما يروغ الثعلب

إن كان ثمة مصلحة في الثورة فهو أبو الثوار، وإن كانت في المعارضة صار من المعارضـة، ولو رأـها مع طرف ثالـت - وإن كان النظام ذاتـه - لانقلـب على عـقبـيه يعلن التـوبة لـيـدـافـعـ بشـرـاسـةـ مدـغـشـقـرـيةـ غـرـيبـةـ عـمـنـ كانـ يـهاـجمـهـ الـبـارـحةـ،ـ الـيـوـمـ معـكـ وـغـدـاـ معـ عـدوـكـ،ـ وـبـعـدـ غـدـ يـصـبـحـ عـدوـكـ ذاتـهـ،ـ تـجـارـ الثـورـاتـ وـالـثـرـوـاتـ،ـ أـعـتـدـ أـنـكـ تـعـرـفـونـهـ جـيـداـ وـكـمـ تـعـاـمـلـنـاـ معـهـ.ـ لمـثـلـ هـؤـلـاءـ أـقـولـ:ـ لـأـحـبـكـ وـلـوـ اـبـتـعـتـمـ لـيـ زـحـلـ!

وبعد يا كرام لا يتصورـنـ أـحـدـكـمـ أـنـ الـخـيـرـ فـيـ هـذـاـ الـعـالـمـ يـذـبـلـ وـيـخـتـفـيـ،ـ وـأـنـاـ لـأـنـسـنـ سـوـىـ جـلـ الذـاتـ -ـ وـعـلـىـ فـكـرـةـ لـنـ تـجـدـ أـشـطـرـ مـنـاـ فـيـ جـلـ الذـاتـ،ـ مـاـ عـلـيـنـاـ -ـ بـلـ الـخـيـرـيـةـ فـيـ هـذـهـ الـأـمـةـ لـأـتـفـئـ جـذـوـتـهـاـ وـلـاـ تـخـفـيـ هـيـبـتـهـاـ،ـ إـلـاـ أـنـاـ نـدـقـ نـوـاقـيـسـ الـخـطـرـ لـتـدـارـكـ أـخـطـائـنـاـ وـنـجـدـ قـدـحـ أـفـكـارـنـاـ.ـ وـالـسـلـامـ